Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيئاً فشيئاً تحت الحصار ، وتحت القذائف المدمرة التي يرمى بها والتي تزلزل نفوس أبنائه من قواعدها . وكان مطلوباً طلباً صحيحاً حثيثاً أن تفتح أبواب هذا الحصن العتيق المنيع ، لتدخل عليه نفس العوامل التي أدت إلى تفريغ تلاميذ المدارس من ماضيها . وإلى تهتك علائق ثقافته وعلومه ، وإلى ربطه بالحركة الأدبية الغازية المتصاعدة تحت ألوية (الجديد) و(التجديد) و(ثقافة العصر) وسائر الألفاظ المبهمة المغرية » .

ويرى الكاتب الكبير أنهم قد توسلوا إلى ذلك بحيل مختلفة . فسلطوا عليهم مؤلفات المستشرقين . ثم اهتموا بعد ذلك بخلق رجال كثيرين من مصر والشام وغيرهما ، يؤدون هذا الدور لإفساد رجال هذه القلاع الحصينة بثقافتها وتراثها . ولينشروا بينهم هذه الأفكار على نطاق واسع ، ويحدثنا الأستاذ شاكر أن جرجي زيدان جاء إلى مصر مع رجال آخرين لا يربطهم في أنفسهم بهذا الماضي إلا اللسان العربي وحده ، أما ضمائرهم فمرتبطة بشيء آخر . فأصدر مجلة الهلال « وألف كتباً وقصصاً كثيرة منها « تاريخ التمدن الإسلامي » و« تاريخ العرب قبل الإسلام » و« تاريخ آداب اللغة العربية » فكانت كلها سطواً مجرداً على آراء المستشرقين ، ومناهجهم في النظر ، مبثوثاً في ثنايا كل ما كتب . وكذلك تيسر لكل من لا يعرف غير العربية لساناً ، أن يجد على مد يده شيئاً جديداً يقال عن ماضيه ، وبمناهج لم يألفها أيضاً » .

ويرى الباحث أن هذه الأفكار لم تؤثر تأثيراً عميقاً في جمهور المحافظين الذين لا يعرفون غير العربية ، وإن كان لها تأثير آخر في جمهور المفرغين من ماضيهم . وقد فتحت الباب أمام السطو المباشر وجعلته أمراً مألوفاً لا غبار عليه . وقربت إلى الأذهان سبيل الاقتناع بأنه ضرب من التجديد . وصار أمر التجديد والجديد كما يقول الأستاذ شاكر « أن يعمد المجدد إلى اقتباس آراء وأفكار قد تولى صياغتها من هو لصيق دخيل عليها وعلى لسانها ، لم ينشأ فيه وإنما تعلمه على كبر ، فهو لا يعلم منه إلا أقل القليل ، ومن هو ثابت في لسان آخر بآدابه وعلومه وفنونه وعقائده ، ومن هو محروم بطبيعته من القدرة على تذوق آدابها تذوقاً شاملاً ، ومن هو مسلوب كل إحساس بتاريخها كله ، فضلاً عما يكنه في سريرته من العداوة المتوارثة والبغضاء المتأججة » .

ويؤكد الأستاذ شاكر – بعد أن رسم هذه الصورة بكل ملامحها – أن التجديد